رأي العيان في أدب العميان

د. صديق عبد الرحمن إبراهيم موسى

أستاذ مشارك - قسم الأدب والنقد والبلاغة
كلية اللغة العربية- جامعة القرآن الكريم والعلوم الاسلامية

المستخلص:

تناول البحث رأي العيان في أدب العميان حيث إن تذوق أدب العميان بأشكاله الفنية ولوحاته التصويرية والتشكيلية ومعانيه وإيحاءاته الشعورية قد تجاوزت الحدود التقليدية للحواس البشرية، وتعدت إلى مشاعر غير مرئية لدى العميان. تكمن مشكلة البحث في إظهار الصور البيانية الناطقة التي تميز بها أدب العميان وأخرجها للسامعين من خلف مدارك الناظرين تأتي أهمية البحث للوقوف على هذا النوع من الإبداع الفني في مضمار الشعر الذي يعد من عيون الأدب العربي الصادر من أدباء غابت عنهم حواس العيون التقليدية غير أنهم مبصرون بعيون قلوبهم الفطرية، يهدف البحث إلى صون ذلك التراث الأدبي العميق، والمحافظة عليه بعد أن وصل إلينا من وراء القرون، منهج البحث هو الاستقراء والوصف والتحليل. خلص البحث إلى عدد من النتائج أهمها؛ إن تذوق الأدب بصوره الفنية ليس محصورا على أصحاب الحواس الذوقية الكاملة، بل تعداه إلى العميان الذين يبصرون بعيون قلوبهم الفطرية. وإن الأدب العربي غني بالقيم الأدبية بصورها المتكاملة لدي كثير من الشعراء العميان، مما أثبت ذوقا فريدا على غير المألوف. وخرج البحث بعدة توصيات منها: الإهتمام بالتراث الشعري عبر عصوره المختلفة عامة، والإلتفات إلى شعر العميان بصفة خاصة. وأخذ العبر من إلهام الله تعالي لذوي الحاجات وإعانتهم واللطف بهم.

كلمات مفتاحية: أدب، العُميان، الصور البيانية، حواس ذوقية.

The literary sighet of the blinded poets

Dr.Sedieq Abdul Rahman Ibrahim Musa -Co-professor

Abstract:

The research dealt with the opinion of the eye in the literature of the blind, as the taste of the literature of the blind in its artistic forms, figurative and plastic paintings, its meanings and emotional overtones has transcended the traditional limits of the human senses, and transcended to the invisible feelings of the blind. The problem of the research lies in showing the graphic images that characterize the literature of the blind and bring them out to the listeners from behind the perceptions of the onlookers. Their innate hearts, the research aims to preserve and preserve that deep literary heritage after it came to us from behind the centuries. The research method is induction, description and analysis. The research concluded a number of results, the most important of which are; Tasting literature in its artistic forms is not limited to those with full taste senses, but rather to the blind who see with the eyes of their innate hearts. Arabic literature is rich in literary values in their integrated forms among many blind poets, which proves a unique taste beyond the ordinary. The research came out with several recommendations, including: paying attention to the poetic heritage through its different eras in general, and paying attention to the poetry of the blind in particular. He learned lessons from God Almighty's inspiration for those in need, their assistance and kindness to them.

Key Words: literature, the blind, graphic images, taste senses.

مقدمة:

إن تـذوق الأدب بصـوره الفنيـة ليـس محصـورا عـلى أصحـاب الحـواس الذوقيـة الكاملـة، وخاصـة البـصر الـذي يعـد ترجـمان البيئـة المحيطـة بالأديـب في الكـون المنظـور، قبـل أن يشـكل البـصر نفسـه قاسـما مشـتركا مـع بقيـة الحـواس الجسـدية في إخـراج الأعـمال الأدبيـة والفنيـة في لوحـة تصويريـة تشـكليلية تفيـض بالمعـاني والإيحـاءات والمشـاعر غـير المحـدودة، قـال الشـاعر:

وليس لمكفوف خواطر مبصر وذو العين والتّمييز جمّ الخواطر

وعـلى الرقـم مـن ضرورة الإبصـار للأديـب أو الشـاعر كحاسـة حتميـة لتوثيـق معـاني الأدب مـن الشـعر أو النـثر بمـا يتلائـم مـع الواقـع المتجسـد أمـام المتلقـي، ليضفـي المصداقيـة الأدبيـة عـلى شـاعرية الأديـب، ويلبـي قناعـة وطموحـات النقـاد مـن أهـل الخـبرة والدرايـة في مجـالات ترقيـة الأداء، فعـلى الرقـم مـن ذلـك كلـه نجـد أن الـذوق الأدبي يتجـاوز هـذه الحـدود التقليديـة للحـواس البشريـة،

ويتحصن بمشاعر غير مرئية تقوم مقام الإبصار ذلكم العنصر الإساسي للتصوير الأدبي الفني والذي لا يزال محورا للتحدي والإبداع.

لقد حفل الأدب العربي بمثل هذه القيم الأدبية بصورها المتكاملة في ظل غياب الإبصار لدي كثير من الشعراء، مما أثبت ذوقا فريدا على غير المألوف وأضاف فنا فوق العادة، وهو بذلك يتحدي جودة الإنتاج الأدبي للمبصرين، ويتفوق على بصائر المتميزين، ويحرز سبقا على المتقدمين، فهو لا يقف عند حدود المعاني بل يتعداها إلى آفاق البيان بفنونه المختلفة من التصوير بالتشبيه في أرقي مدلولاته البيانية، ولذلك كان هذا النوع من الأدب الفريد محط أنظار المعجبين من الأدباء، فوقفوا عنده وأوضحوا غموضه وأزاحوا الستار عن مسرح تصاويره فأزداد المعجبون إعجابا فصارو بالوجدان أرحاما وأنسابا، لأن أبصارهم تحولت إلى قلوبهم، قال الله تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تعمى الْأَبْصَار وَلَكِن تعمى الْقُلُوب الَّتِي فِي الصُّدُور)

نجد أولئك الشعراء الذين فقدوا حاسة البصر في وقت مبكر من حياتهم نجدهم حافظوا على أصالة مذهبهم الأدبي في شعرهم من حيث المضمون والمعاني والأفكار، والمغازي والأغراض، والخيال والصور وتجديدها في ثوب قشيب مع تجدد الخيالات في تشخيص التصوير الأدبي، بما يبعث الحياة ويحرك المعاني والأفكار في الموجودات من الجمادات ويحولها إلى صور أدبية حية تموج بالحركة والحياة، وتنبض بالحيوية، وتشع بالألوان والأضواء وترتسم فيها ظلال التصوير الأدبي العميق الغني بالخيال المتناسب مع طبيعة الغرض، ولقد اخترنا لهذه الدراسة الشاعر بشار بن برد من بين العميان، لتوفر تلك الفنون في شعره ولأنه لم ير النور قط في حياته إذ أنه ولد أعمى، فمن خلال الوقوف علي أشعاره سوف نبين تلك الصور الفنية التي تبرهن على مقدرته الأدبية في التصوير الأدبي وتثبت ملكته الشعرية وتفوقه علي شعراء زمانه في بعض تشبيهاته البيانية.

البيئة الأدبية والإجتماعية للعميان:

كانت البيئة الأدبية للعميان عامرة بالمساجلات الشعرية التي تبين كثرة تلك الفئة من الأدباء وإهتمامهم بالشعر العربي وفيه يبثون شكواهم ويتناقلون مشاعرهم ويعبرون عن إحاسيسهم بالحياة، وكان لإهتمام المبصرين من الشعراء بفئة العميان الأثر الأكبر في إذكاء روح التنافس وبث معاني الإبداع إذ أن الفراغ الذي يعاني منه العميان كان حافزا لطرق أبواب الأدب لتلبية طموحاتهم لجبر النقص الذي لازمهم علي حساب التوظف في المواقع المرموقة، غير أن التهميش كان حليف من لا يجيد صناعة الأدب من العميان وبخاصة الشعر، ولقد كان لنوابغ العميان من الشعراء حظ في نيل الدرجات الرفيعة في قصور الأمراء والملوك، فكان الشعر يرتقي بصاحبه الأعمي إلى مصاف الوزراء والمقربين في بلاط الملك، ليجد الرعاية والإهتمام من قبل الحكام، ويساند العميان في هذه المهمة ذكاء مفرط وبصيرة متقدة، وقيل لقتادة: ما بال العميان أذكى وأكيس من البصراء؟ قال: لأن أبصارهم تحولت إلى قلوبهم، وقال الجاحظ: العميان أذكى وأحفظ، وأذهانهم أقوى وأصفى، لأنهم غير مشتغلي الأفكار بتمييز الأشخاص، ومع النظر تشعب الفكر، ومع إطباق العين اجتماع اللب، وقال عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما:

إن يأخذ الله من عينيّ نورهمـــــــــا فـــــــفي لساني وقلبي منهما نور

قلبي ذكيّ وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال:

يعيرني الأعداء والعار فيهم وليس بعار أن يقال ضرير

إذا أبصر المرء المروءة والتقى وان عمى العينان فهو بصير[1]

وقال أبو دلف:

وليـس العمـى في كلّ حـال نقيصـة ونقـص العمـى أجدى عليـك من البصر

فسـائل بغـال الطحـن ان كنـت جاهـلا ولـو حجبـوا تلـك العيـون عـن النّظـر

ولـولا انطبـاق العـين مـا كان طاحـن ولا كان مطحـون بصخـر ولا مـدر[2]

فقـد كان العميـان يحولـون فقـدان أبصارهـم إلى مكاسـب مـن الـذكاء ولذلـك قـال بشـار بـن بـرد: عميـت جَنينـا، والـذكاء مـن الْعَمـى، ومـن فَضَائِـل الْعَمـى ومحاسـنه ومرافقـه اجْتِـمَاع الـرَّأْي والذهـن وَقُـوَّة الْكيـس وَالْحِفْـظ، وَسُـقُوط الْوَاجِـب مـن الْحُقُـوق، والأمـان مـن فضـول النّظـر الداعيـة إِلَى الذُّنُـوب.[3]

ونـري العميـان يسـتخدمون العمـى مطيـة للمبالغـة في الـكلام وإعطـاءه صـورة فنيـة تـروق للسـامع ومـن ذلـك قـول شـاعرهم:

أمـا والّـذى لـو شـاء لم يخلـق الهـوى ونقـص العمـى أجـدى عليـك مـن البـصر

ترينيـك عـين الوهـــــــم حتـى كأننـى أناجيـك مـن قـــــــرب وإن لم تكن قربى[4]

لئن كان عن عينيّ أحمد غائبا

لـئن كان عـن عينـيّ أحمـد غائبـا فـما هـو عـن عـين الضمـير بغائـب

لـه صـورة في القلـب لم يقصهـا النـوى ولم تتخطّفهـا أكـفّ النوائـب[5]

ونظـرا لهـذا اللطـف الـذي ينتهجـه بعـض العميـان كان لهـم حـظ لأجـل ذلـك مـن مجالسـة الخلفـاء مـن الحـكام ولذلـك جـاء في كتـاب محـاضرات الأدبـاء ومحـاورات الشـعراء أن المتـوكل قـال يومـا لجلسـائه: لـولا ذهـاب بـصر أبي العينـاء لجعلتـه نديمـي، فقـال أبـو العينـاء لمـا بلغـه ذلـك: إن كان يريـدني لقـراءة نقـش الخواتـم وقـراءة الأهلـة لم أصلـح، فضحـك واتخـذه نديمـا.[6]

لقـد كـثر العميـان في عـصر بنـي أميـة فهـذا أمـير المؤمنـين معاوية بـن أبي سـفيان يبـدي ملاحظاته في ذلـك فقـال لعبـد اللـه بـن عبّـاس رضي اللـه عنهـما: إنكـم يـا بنـي هاشـم تصابـون في أبصاركـم فقـال: وأنتـم يـا بنـي أميـة تصابـون في بصائركـم[7]

لقـد لاقـى العميـان إهتمامـا كبـيرا مـن جهـة الحـكام فـكان الخليفـة المنصـور يوليهـم إهتمامـا لكثرتهـم في المجتمـع وفي ذلـك كتـب لعاملـه زيـاد بـن عبـد اللـه الحـارثي ليقسـم مـالا بـين العميـان والقواعـد والأيتـام، فدخـل عليـه أبـو زيـاد التميمـي، وكان مغفّـلا فقـال: أصلحـك اللـه اكتبنـي في القواعد، فقـال لـه: عافـاك اللـه، القواعـد مـن النسـاء اللـواتي قعـدن عـن أزواجهـنّ، فقـال لـه: اكتبنـي في العميـان، قـال: اكتبـوه فـإنّ اللـه سـبحانه وتعـالى يقـول (فَإِنَّهـا لا تَعْمَـى الْأَبْصـارُ وَلَكِـنْ تَعْمَـى الْقُلُـوبُ الَّتِـي فِي

الصُّدُورِ)[2](8) فقال أبو زياد: واكتب ابني في الأيتام، قال: نعم من كنت أباه فهو يتيم.[3](9)

وكانت البديهة حاضرة عند العميان ولذلك يقربهم الخلفاء من مجالسهم ويتخذونهم ندمانا ومن ذلك قيل لبشار: ما أذهب الله عيني امرئ إلا عوضه عنهما فما الذي عوضك؟ قال: ألا أرى مثلك، وسأل رجل بشارا عن دار فهداه إليها فلم يكن يهتدي فقال:

أعمى يقود بصيرا لا أبا لكم قد ضلّ من كانت العميان تهديه

وتزوّج أعمى امرأة فقالت: لو رأيت بياضي وحسني لعجبت، فقال: إسكتي فلو كنت كما تقولين لما تركك البصراء لي وقيل: الأعمى مكابر والأعور ظلوم والأحول تيّاه، وتجارى قوم في مجلس فقال أحدهم من كان أعور فهو نصف رجل ومن لا يحسن السباحة فهو نصف رجل، ومن لا يتزوج فهو نصف رجل، وكان معهم رجل اجتمعت فيه هذه كلها فقال: إني أحتاج إلى نصف رجل حتى أكون لا شيء. وقال أعور في نفسه وصاحب له أعور:

ألم ترني وعمرا حين نغدو إلى الحاجات ليس لنا نظير[4](10)

جاء في كتاب غرر الخصائص الواضحة: وأكثر ما يوجد الذكاء المفرط عند العميان، فإنهم عوّضوا عن البصر سرعة الحفظ وبطء النسيان، فكان قتادة بن دعامة أكمه وكان يقول لقائده سعيد بن أبي عروبة تجنب بي الحلق التي فيها الخطأ فإنه ما وصل إلى سمعي شيء فأداه إلى قلبي فنسيه، وممن ولد أكمه بشار بن برد وكان رأس طبقة في الشعراء المولدين، وهم أشجع السلمى، ومسلم بن الوليد، وأبو العتاهية، وأبو نواس، وغيرهم وقال الشعر وله من العمر إحدى عشرة سنة، ومنهم أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ومن عجيب حكاياته: إن أبا زكريا التبريزي كان يقرأ عليه فأتاه رسول من عند أهله من تبريز فجاء حلقة أبا العلاء فسأل عنه فأخبر أنه غائب في بعض شأنه فقال له أبو العلاء ما تريد به قال جئت برسالة من عند أهله فقال هاتها حتى نوصلها إليه، قال إنها مشافهة قال فاسمعناها حتى نوصلها إليه قال إنها بالفارسية، قال لا عليك إن تسمعناها ولا تسقط منها حرفاً فأوردها عليه، فلما جاء التبريزي أخبر أن رجلاً جاء من تبريز ومعه رسالة من أهلك فقال ليتكم أخذتموها منه فإني مشوق لما يرد من أخبارهم، فقيل له إنه قال إنها مشافهة فتأسف لذلك فلما رأى أبو العلاء تأسفه قال له، لا عليك إني سمعتها منه وحفظتها ثم أملاها عليه فجعل التبريزي يضحك مرة ويبكي مرة، فسأله أبو العلاء عن ضحكه وبكائه فقال تارة تخبرني بما يسرني فأضحك وتارة تخبرني بما يحزنني فأبكي، وعمي أبو العلاء وله من العمر ثلاث سنين من جدري أصابه، وقال الشعر وله إحدى عشرة سنة ولبشار:

وعيرني الأعداء والعيب فيهم وليس بعار أن يقال ضرير
إذا أبصر المرء المروأة والتقى فإن عمي العينين ليس يضير
رأيت العمي أجراً وذخراً وعصمة وإني إلى تلك الثلاث فقير[11]

جاء في نهاية الأرب في فنون الأدب عن نوادر العميان أن بعضهم قال: خرجت ليلة من قرية لبعض شأني، فإذا أنا بأعمى على عاتقه جرّة وبيده سراج، فلم يزل حتى انتهى إلى النهر، وملأ جرّته وعاد، قال: فقلت له: يا هذا، أنت أعمى، والليل والنهار عندك سواء، فما تصنع بالسراج؟

قال: يا كثير الفضول، حملته لأعمى القلب مثلك، يستضيء به لئلا يعثر في الظلمة، فيقع علىّ ويكسر جرّتى.[12]

ولقد تمثل أصحاب البلاغة بأجوال العميان فقالوا: مثل عكاز العميان وأرادوا: أن عكاز الأعمى لا يسئل عن علة حاجته إليه، فإن علة حاجته إليه ظاهرة لا تحتاج إلى بيان وكشف.[13]5

إن مشاهدة الحال في الخارج تعين على تصور المعاني، إلا أن استنباط المعاني لا يفتقر فيه إلى المشاهدة، وقد جاء في الوجود جماعة من العميان الذين لم يشاهدوا الصور في الخارج، وأتوا بالتشبيهات البديعة، مثل بشار بن برد حيث قال.

كأن مثار النّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

ومثل أبي العلاء المعري حيث يقول:

ولاح هلالٌ مثل نونٍ أجادها بذوب النّضار الكاتب ابن هلال

وحيث يقول:

ليلتي هذه عروسٌ من الزّن ج عليها قلائدٌ من جمان

وسهيلٌ كوجنة الحبّ في اللو ن وقلب المحب في الخفقان

ثم شاب الدّجى وخاف من الهج ر فغطى المشيب بالزعفران[14]

نعم إن التشبيه لا يفتقر إلى الصورة الخارجة لإن الناظم قد يتصور المعنى في ذهنه من غير أن يشاهده في الخارج، ويولد المعنى من معنى آخر كقول ابن المعتز.

وأرى الثريّا في السماء كأنها قدمٌ تبدّت من ثياب حداد

فإنه ولد هذا المعنى من قول الشاعر:

كأن كؤوس الشّرب والليل مظلمٌ وجوه عذارى في ملاحف سود

وولد المعنى الثاني من قول أبي العلاء المعري في تشبيه البرق:

إذا ما اهتاج أحمر مستطيرا حسبت الليل زنجيا جريحا[15]

لقد جاء شعر العميان متضمنا ما يدور في بيئتهم الأدبية والإجتماعية التي كانت عامرة بالأشعار مما يبين كثرة تلك الفئة من الأدباء وإهتمامهم بالشعر العربي، ولقد رأينا تنوع أشعارهم التي تعبر عن مشاعرهم وإحاسيسهم بالحياة، مما زاد من روح التنافس وبث معاني الإبداع الفني والنبوغ التصويري من الخيال الذهني الذي كفل لهم التفوق والظهور بين المبصرين من الشعراء.

رأي العيان في شعر بشار بن برد:

بشار بن برد، هو أبو معاذ بشار المرعث بن برد، أشعر مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ورأس الشعراء المحدثين، وممهد طريق الاختراع والبديع للمتفننين، وأحد البلغاء المكفوفين، وأصله من فرس طخارستان من سبي المهلب بن أبي صفرة فنشأ بشار فيهم وأختلف إلى الأعراب الضاربين بالبصرة حتى خرج نابغة زمانه في الفصاحة والشعر، وكان أكمه مجدور الوجه قبيح المنظر، مفرط الطول، ضخم الجثة، متوقد الذكاء، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة، لا يألف ولا يؤلف، وكان من أحد موالي بني عقيل، فهو مولى أم الظباء على ما يقول بنو سدوس، ويقال إنه من أهل

خراسان نازلا في بني عقيل، وله مديح كثير في فرسان أهل خراسان ورجالاتهم، وهو الذي يقول:

من خراسان وبيتي في الذرى ولدى المسعاة فرعي قد بسق

وقال:

وإني لمن قوم خراسان دارهم كرام وفرعي فيهم ناضر بسق

لقد أجمع رواة الشعر ونقدته على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاة البديع وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل والهجاء، وأنه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة وفتق عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة حتى عد شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث، ومجازاً يعبر عليه الشعر من مرابع البدواة إلى مقاصير الحضارة، ومات سنة 167 ه.[6](16)

قال الجاحظ كان بشار شاعرا مفلقا، خدم الملوك وحضر مجالس الخلفاء، وكان يعد في الخطباء البلغاء، رمي بالزندقة فقتله المهدي سنة 168 ه[17]ـ[7] ولما كان بشار جليس الخلفاء كان له شعر في المشورة والحكم والنصائح ومن ذلك قوله:

إذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعن برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حاز
ولا تجعل الشُّورى عليك غضاضةً فإن الخوافي قوةٌ للقوادم
وما خيرُ كفّ أمسك الغلُّ أختها وما خيرُ سيفٍ لم يؤيّد بقائم
وخلّ الهوينى للضعيف ولا تكن نؤوماً فإنّ الحرِّ ليس بنائم
وأدن إلى القرب المقرّب نفسه ولا تشهد النجوى امرأ غير كاتم
فإنك لا تستطرد الغمّ بالمنى ولا تبلغ العليا بغير المكارم[18]

إن مثل هذه الحكم في شعر بشار كفيلة بالإرتقاء به إلى مجالس الحكام والأمراء فهذه صفة لا يستغنى عنها الخلفاء في سلطانهم، بهذا يزاحم بشار المبصرين من الشعراء، ولقد كان شاعرا راجزا، وسجاعا خطيبا، وصاحب منثور ومزدوج، وله رسائل معروفة، وأنشد عقبة بن رؤبة، عقبة بن سلم، رجزا يمتدحه به، وبشار حاضر، فأظهر بشار استحسان الأرجوزة، فقال له عقبة بن رؤبة هذا طراز يا أبا معاذ لا تحسنه، فقال بشار: ألمثلي يقال هذا الكلام؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك ومن جدك، ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التي أولها:

يا طلل الحيّ بذات الصمد باللهِ خبّر كيف كنت بعدي
اسلم وحييت أبا الملد لله أيامك في معدّ
الحر يلحى والعصا للعبد وليس للملحف مثل الرد
وصاحب كالدمل الممد حملته في رقعة من جلدي[19]

في هذه الأبيات يذكر بشار الأطلال في مطلعها وكأنها من الأمور المشاهدة له فهو يراها رأي العيان، فبشار أعمى ولكنه اهتدي لما لا يهتدي إليه المبصرون من حقائق في التمييز فانظر إلى قوله:

وخذي ملابس زينة ومصبّغات فهي أفخر
وإذا دخلت تقنّعي بالحمر إنّ الحسن أحمر[20]

ولقد برع بشار في التشبيه والوصف المقارن وكأنه عاش في الدنيا مبصرا للطبيعة من حوله فكان شعره لا يترك أدني شك للقارئ بأن الشاعر من المبصرين فانظر لقول بشار:

كأن رصف حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وتخال ما جمعت علي هـ ثيابها ذهبا وعطرا
كأن تحت لسانها اروت ينفث فيه سحرا[21]

جاء في كتاب الجليس الصالح الكافي أن الْحُسَيْن بْنُ الْقَاسِمِ الْكَوْكَبِيُّ، قال حَدَّثَنَا إِسْحَاق بْن إِبْرَاهِيم الْمَوْصِليّ، قَالَ: كَانَتْ بِالْبَصْرَةِ لرجل من آل سُلَيْمَان بْن عليّ جَارِيَة، وَكَانَت محسنة بارعة الظّرْف وَالْجمال، وَكَانَ بشار بْن برد صديقا لمولاها ومداحا لَهُ، فَحَضَرَ مَجْلِسه وَالْجَارِيَة تغنيهم، فَشرب مَوْلَاهَا وسكر ونام ونهض للانصراف من كَانَ بالحضرة، فَقَالَت الْجَارِيَة لبشار: أُحِبَّ أَن نذْكر مَجْلِسنَا هَذَا فِي قصيدة مليحة وَترسل بهَا إِلَيَّ عَلَى أَلا تذكر فِيهَا اسْمِي وَاسم سَيِّدي، فَقَالَ بشار وَبعث بهَا مَعَ رَسُوله إِلَيْهَا:

وَذَات دلّ كَأَن الشَّمْس صورتهَا باتت تغني عميد الْقلب سكرانا
إِن الْعُيُون الَّتِي فِي طرفها حور قتلننا ثُمَّ لَمْ يحيين قَتْلَانَا
يَا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا سَاكن الريان من كَانَا
قَالَتْ: فَهَلا فدتك النَّفس أحسن من هَذَا لمن كَانَ صب الْقلب حيرانا
يَا قوم أُذُنِي لبَعض الْحَيّ عاشقة وَالْأُذن تعشق قبل الْعين أَحْيَانًا
َقلت: أَحْسَنت أَنْت الشَّمْسُ طالعة أضرمت فِي الْقلب والأحشاء نيرانا
يَا لَيْتَني كنت تفاحًا تمخضه وَكنت من قضب الريحان ريحانا
فحركت عودهَا ثُمَّ انْثَنَتْ طَربا تبدي الترنم لَا تخفيه كتمانا
أَصبَحت أطوع خَلْق اللَّه كلهم نفسا لأكْثر خَلْقُ اللَّه عصيانا
وفَقلت: أطربينا يَا زين مَجْلِسنَا فغننا، أَنْت بِالْإِحْسَانِ أولانا
فغنت الشّرْب صَوتا مؤنقًا رصفا يُذكي السرُور ويبكي الْعين أَحْيَانًا
لَا يقتل اللَّه من دَامَت مودته وَالله يقتل أَهْلَ الْغدر من كَانَا[22]

لقد ذكر بشار التشبيه في البيت الأول وكأنه رأي الشمس عندما قال كأن الشمس صورتها، وفي البيت الثاني يقول إن العيون التي في طرفها حور قتلننا فكيف نظر إلى تلك العيون وحورها، ثم يقول في البيت الثالث يا حبذا جبل الريان من جبل فهل رأي ذلك الجيل حتى يتمناه ويجبه، ويقول في البيت الرابع والأذن تعشق قبل العين أحيانا وكأن عشق العين عنده طارئ والأصل عنده عشق العين أولا فكيف أثبته لنفسه؟، وفي البيت الخامس يقول أنت الشمس طالعة وكأنه ينظر إلى الشمس وإلى من يتغزل بها، ثم يقول في البيت السادس يا ليتني كنت تفاحا الذي من دواعي الإعجاب به النظر إليه فهل نظر إليه؟، وفي البيت السابع يقول ثم حركت عودها طربا ثم انثنت وهو لم ينظر إليها قط!، وفي بقية الأبيات ذكر من المعاني والعبر ما لا يتاتى إلا لبصير، وبذلك كان

شعر بشار صورة ناطقة وكأنه ينظر إلى الدنيا من حوله بأم عينه، جاء في الأمالي أن مُحَمَّدا بْن خازمٍ قَالَ: دَعَانَا بشار بْن برد، وَكَانَت عِنْده قينتان تُغنيَانِ، فَكَانَ فِي الْمجْلس من يعبث بهما ويمد يَده إِلَيْهِمَا فأنفتْ لَهُ من ذَلِك فَكتبت إِلَيْهِ من الْغَد:

إتَّق اللَّه أَنْت شَاعِر قيس	لَا تكن وصمة عَلي الشعراءِ
إن إخوانك المقيمين بِالْأُمِّ	س أَتَوا للزناءِ لَا للغناءِ
أَنْت أعمي وللزناة هناتٌ	منكراتٌ تخفي عَلي البصراء
هبك تستمع الحَدِيث فَمَا	علمك فِيهِ بالغمز والإيماء
والإشارات بالعيون وبالأي	دي وَأخذ الْمعَاد للإلتقاء
قطعُوا أَمرهم وَأَنت حمارٌ	موقرٌ من بلادةٍ وغباءِ[23]

قَالَ فأدخلهما السُّوق فباعهما، وهذه ممن قدم له النصح والإرشاد في جلسائه وهذا أمر يحتاج الى تأكيد قد يفتح عليه بابا لا يقدر على سده فتخلص منها، وفي نفس الوقت تضمن كلامها هجاءا موجعا إذ شبهته بالحمار الغبي، لأن ما يدور بمجلسه قد يخفى على البصراء فكيف وهو ضرير لا يرى، فأنى له تقوى الله ومراقبة الحال فكان جزاؤها الطرد، ويصف نفسه فيقول:

زور ملوك عليه أبهة	يعرف من شعره ومن خطبه
لله ما راح في جوانحه	من لؤلؤ لا ينام عن طلب
خرج من فيه في الندى كما	يخرج ضوء السراج من لهبه
ترنو إليه الحداث غادية	ولا تمل الحديث عن عجبه
تلعابة تعكف الملوك به	تأخذ من جده ومن لعبه
يزدحم الناس كل شارق	ببابه مشرعين في أدبه[24]

يصف بشار نفسه مادحا ويستخدم التشبيه (كما يخرج ضوء السراج من لهبه) عجبا له يسير بين المبصرين من الشعراء كتفا بكتف ويتفوق عليهم أحيانا، وأما بقية الأبيات فلا تلمس فيها انكفاء العميان على أنفسهم بل العكس من ذلك نجد الشاعر منفتحا على المجتمع متفاعلا معه في تحد واضح ومقاومة ملموسة لذلك الشعور المؤدي للإحساس بالنقص وهو فقدان البصر، ولذلك نجد بشارا يفخر بالعمى فيقول:

إذا ولد المولود أعمى وجدته	جدّك، أهدى من بصير وأحولا
عميت جنينا والذّكاء من العمى	فجئت عجيب الظّنّ للعلم معقلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا	لقلب إذا ما ضيّع النّاس حصّلا[25]

إن مثل هذا الفخر بفقد البصر يعطي الشاعر قوة معنوية لتجاوز هذه المحنة التي لم يتعرف الشاعر على قيمتها أصلا لأنه يقول عميت جنينا فكان ذلك سببا للذكاء وازدياد العلم والعقل، ولذلك تجاوز بشار تلك العقية التي تلازم العميان فهو يجد لكل الأحداث حوله تصويرا

يـبرر فيـه فقـدان البـصر ويثبـت أن ذلـك لا يؤثـر عـلى معاملاتـه مـع المجتمـع مـن حولـه، فيقـول:

وكاعـب قالـت لاترابهـا ... يـا قـوم مـا أعجـب هـذا الضريـر
هـل يعشـق الانسـان مـا لا يـرى ... فقلـت والدمـع بعينـي غزيـر
ن كان عينـي لا تـرى وجههـا ... فإنهـا قـد صـوّرت في الضمـير[26]

وقال بشار بن برد:

أُحـبُّ بـأنْ أكـونَ عـلَى بيـانٍ ... وأخـشَى أنْ أمـوتَ مـنَ البيـان
فقـدْ أصبحـتُ لا فرِحـاً بدُنيـا ... ولا مُسـتنكراً دارَ الهـوان
يُقلِّبُنـي الهـوَى ظهـراً لبطـنٍ ... فـما يخفَـى عـلَى أحـدٍ يـرَانِي[27]

هـذه الأبيـات واضحـة المعنـي فـإن الشـاعر يحـب البيـان ويخـشى أن يهلكـه ذلـك البيـان، فكلمـة بيـان وحدهـا كافيـة لمـا بفاخـر بـه بشـار فهـو قـوي الشـعر وثابـت المعنـى، ومـن أفضـل التشـبيهات التـي قالهـا بشـار قولـه:

كأن مثار النقع فوق رؤسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فشـبه النقـع بالليـل والسـيوف بالكواكـب وهـذا تشـبيه للمبالغـة والتفخيـم وهـو مـن تشـبيه التمثيـل لأنـه شـبه صـورة بصـورة فأجـاد وأبـدع ليـس لأنـه شـاعر متمـرس ولكـن لكونـه أعمـى لم يـر النـور ولا الأشـياء مـن حولـه، وبهـذا البيـت تميـز بشـار عـن المبصريـن مـن أهـل هـذا الفـن التصويـري البـارع، واكتسـب شـهرة مسـتحقة في هـذا الخصـوص، ولكـن العجـب عندمـا تطلـع عـلى بقيـة أبيـات القصيـدة التـي احتضنـت هـذا البيـت فإنـك تجـد عـددا مـن الأبيـات لا تقـل روعـة عـن البيـت سـابق الذكـر فـإلى بقيـة الأبيـات:

إذا الْملـك الْجَبَّـار صعـر خَـدّه ... مشـينا إِلَيْـهِ بِالسُّـيُوفِ نعاتبـه
ودلفنـا لَـهُ جَهـرا بِـكُل مثقـفٍ ... وأبيـض تستسـقي الدِّمَـاء مضاربـه
وجيـشٍ كَمثـل اللَّيْـل يزحـف بالحـصى ... وبالشـوك والخطـي حمـرٍ ثعالبـه
غدونـا لَـهُ وَالشَّـمْس فِي خـدر أمهَـا ... تطالعنـا والطـل لم يجـر ذائبـه
بـضربٍ يَـذُوق الْمَوت مـن ذاق طعمه ... وتـدرك مـن نجـى الْفِـرَار مثالبـه
كَأَن مثـار النَّقْـع فَـوق رؤوسـهم ... وأسـيافنا ليـلٌ تهـاوى كواكبـه
بعثنَـا لَهُـم نَـار الْفُجَـاءَة إننـا ... بَنـو الْمَـوْت خفـاقٌ علينـا سـبائبه
فراحـوا فريقـاً فِي الإسـار وَمثلـه ... قتيـلٌ ومثـلٌ لَاذَ بالبحـر هاربـه
وأرعـن يغـشى الشَّـمْس لـون حديـده ... تخلـس أبصـار الكـماة كتائبـه[28]

هـذه أبيـات لا يقولهـا إلا المحاربـون مـن حملـة السـيوف وقـادة الكتائـب ورؤسـاء الجنـد، فانظـر إليـه وهـو يقـول مشـينا أليـه بالسـيوف نعاتبـه وكأنـه أحـد المقاتلـين الأشـاوس مـن أمثـال عنـترة بـن شـداد وغـيره، ثـم يقـول دلفنـا لـه جهـرا بـكل مثقـف أبيـض وهـو السـيف وبشـار ليـس مـن حملـة السـيوف مـن المقاتلـين، ثـم يـأتي بتشـبيه في قولـه: وجيـش كمثـل الليـل، وهـو لا يبـصر، ثـم يقـول غدونـا

لـه والشـمس في خـدر أمهـا وهـذه إسـتعارة تحتـاج إلي إعـمال البـصر، ثـم يقـول: بـضرب يـذوق المـوت مـن ذاق طعمـه، وهـذا قـول المقاتلـين المضاربـين بالسـيف ممـن يـري العـدو ويـضرب هامتـه، ثـم يصـف ذروة القتـال بقولـه كأن مثـار النقـع فـوق رؤوسـنا وأسـيافنا ليـل نهـاوى كواكبـه، وهـذا قمـة التصويـر الفنـي في الأدب، وفي الأبيـات الثلاثـة الأخـيرة تصاويـر فنيـة بارعـة لحـال العـدو مـع بشـار فالـذي يسـمع هـذه الأبيـات لا يظـن أن قائلهـا أعمـي فجـاء هـذا الشـعر يحـكي فصـولا مـن المعركـة وكأن القـارئ أو السـامع ينظـر إليهـا رأي العيـان، ولقـد كان بشـار أشـجع شـاعر قيـس عيـلان فى وقتـه، لم يكـن فيهـم غـيره، فصححـوا نسـبه وتعصبـوا لـه، ألا تـرى أن الشـعراء أيـام الرشـيد ليـس فيهـم مـن قيـس عيـلان أحـد، ولا مـذ أوّل هـذه الدولـة الا بشـار مـولى بنـى عقيـل وكان يفخـر بقيـس.[29]

ولم يتوقف ذلك السيل الجرار من شعر بشار في التشبيهات فيقول:

كَأَنَّهـا حِـينَ رَاحَـتْ فِي مَجَاسِـد ... هَـا فارْتَـجَّ أَسْـفَلُها وَاهْتَـزَّ أَعْلاهـا
حَـوْرَاءُ جَـاءَتْ مِـنَ الفِـرْدَوْسِ مُقْبِلَـة ... كَالشَّـمْسِ طَلْعَتْهَـا وَالْمِسـكِ رَيَّاهَـا[30]

التشـبيه ظاهـر في البيتـين في قـول الشـاعر: كأنهـا حـين راحـت في مجاسـدها، وفي قولـه: كالشـمس طلعتهـا، ولـو أننـا ذكرنـا التشـبيهات التـي جـاء بهـا بشـار فقـط لكفانـا في هـذا البحـث نظـرا لمحنـة العمـي التـي لم يـر معهـا الشـمس، ويقـول بشـار.

حَـوراءُ إِن نَظـرَت إِلَيْـكَ ... سَـقَتكَ بالعَينَـينِ خَمـرا
وَكَأَنَّ لَفـظَ حَديثِهـا ... قِطَـعُ الرِّيـاضِ كُسِـينَ زَهْـرا
وَكَأَنَّ تَحْـتَ لِسـانِها ... هـاروتُ يَنفـثُ فِيـه سِـحْرا
وَتخـالُ مَـا جَمعـتْ عَلَيـهِ ... ثِيابَهـا ذَهبـاً وَعِطْـرا[31]

البيـان والتشـبيه ظاهـر في الأبيـات السـابقة، يقـول لـو نظـرت إليهـا وهـو لا يـري!، ثـم يـأتي بالتشـبيهات: كأن لفـظ حديثهـا، وكأن تحـت لسـانها، ثـم يتحـدث عـن ثيابهـا (وتخـال مـا جمعـت عليـه ثيابهـا ذهبـا) كل هـذه الفنـون يضعهـا أمامنـا الشـاعر بشـار كأننـا ننظـر إليهـا رأي العيـان، وفي مشـهد فنـي آخـر يقـول:

نبـت عينـي عـن التغميـض حتـى ... كأنّ جفونهـا عنهـا قصـار
أقـول وليلتـي تـزداد طـولا ... أمـا للّيـل بعدكـم نهـار[32]

انظـر إلي التشـبيه في البيـت الأول ثـم انظـر إلى طلبـه النهـار في البيـت الثـاني، ومـاذا يفعـل رجـل أعمـي بالنهـار، والليـل والنهـار عنـده سـواء، وهـذا مـن قـوة شـاعريته، يقـول بشـار بـن بـرد:

أظلّـت علينـا منـك يومـاً سـحابةٌ ... أضـاءت لنـا برقـاً وأبطـا رشاشـها
فـلا غيمهـا يجـلي فييـأس طامـعٌ ... ولا غيثهـا يـأتي فـتروى عطاشـها[33]

يقـول بشـار أظلـت علينـا منـك سـحابة وهـو لم يرهـا!، ويقـول أضـاءت لنـا برقـا وكذلـك لم يـر البـرق ولا الضـوء، فـكل هـذه التشـبيهات صـورة ماثلـة أمـام عينيـك كأنـك تنظـر إليهـا رأي العيـان، ثـم

يـأتي بصـورة أخـرى فيقـول:

لا والـذي خـصَّ قلبـي منـكَ بالحـزنِ وخـصَّ للطـرفِ جـريَ الدمـع بالوسـنِ
مـا حـنَّ قلبـي إلى شيءٍ سـواك ولا نظـرتُ مـذ غبـتَ عـن عينـي إلى حسـنِ[34]

انظـر إلى قـول الشـاعر في البيـت الثـاني يقـول: ولا نظـرت مـذ غبـت عـن عينـي!، كيـف ينظـر وهـو أعمـي، فلقـد جـاري المبصريـن مـن الشـعراء فصـار مثلهـم وفاقهـم، وفي موقـف آخـر يقـول:

فقلـت: دعـوا قلبـى ومـا اختـار وارتـضى فبالقلـب لا بالعـين يبـصر ذو اللّـبّ
ومـا تبـصر العينـان في موضـع الهـوى ولا تسـمع الأذنـان إلا مـن القلـب[35]

في البيتـين أعـلاه أفصـح بشـار عـن موهبتـه في إخـراج التشـبيهات مـن حولـه وكأنـه ذو عينـين، فبـين أن القلـب هـو الـذي يـري للعينـين ويسـمع للأذنـين، ومـن ذلـك لوحتـه الشـعرية أدنـاه التـي ملأهـا بظواهـر الطبيعـة في خطـاب يعجـز عنـه المبـصرون، أنظـر إلى كلماتـه التـي أختارهـا: الدجـى، الصبـح، النهـار، الليـل، لقـد جمـع كل هـذه الكلـمات في شـعر رصـين فأخرجـه للناظريـن عندمـا قـال:

خليـلي مـا بـالُ الدُّجَـى ليـس يَـبْرحُ ومـا لِعَمـودِ الصبـح لا يتوضَّـحُ
أضـلَّ النهـارُ المسـتنيرُ طريقَـهُ أَمِ الدهـرُ ليـلٌ كلُّـهُ ليـس يـبرح
لطـالَ عـليّ الليـلُ حتـى كأننـي بليلـين موصولـين لا يتزحـزح
أَظـنُّ الدجـى طالـتْ ومـا طالـتِ الدجـى ولكـنْ أَطـالَ الليـلَ هـمّ مـبرح[36]

وينساب تيار الشعر من بشار فيقول:

يَـا قـرّة الْعـين إنى لَا أسـميكِ أكنـى بِأُخْـرَى أسـميها وأعنيـك
أخْـشَى عَلَيْـك مـن الْجِـيرَان حاسـدة أوسـهم غـيران يرمينـى ويرميـك
يَـا أطيـب النَّـاس ريقـا غـير مختـبر إِلَّا شَـهَادَة أَطْـرَاف المسـاويك[37]

يقـول الشـاعر يـا قـرة العـين بـلا بـصر أو معاينـة، فـلا يخالـه أحـد بأيـة حـال بأنـه أعمـى وهـو الـذي يعطـي عينيـه حـق الإبصـار والرؤيـا عيانـا ويتمثـل بذلـك في كثـير مـن أشـعاره، حقـا أنـه رأي العيـان، ومثـل مـا تقـدم قـول بشـار:

للـه صـــــــــــــورها وصيرهـــا لاقتـــك أو لم تلقهـــا ترهـــا
نصبـــاً لعينيـــك لا تـــرى حســـناً إلا ذكـــرت لهـــا بـــه شـــبها[38]

يقـول بشـار إذا لم يلقهـا يرهـا ويقصـد بذلـك رؤيتهـا بقلبـه ثـم يجـد لهـا شـبها مـن المنظـورات مـن حولـه دون نظـر، فقـط بفطرتـه القلبيـة، ثـم لم يلبـث بشـار حتـي يوافينـا بفطرتـه الشـعرية بعجائب تشـبيهاته فيقول:

كأنّ إبريقنا والقطر من فمه طير تناول ياقوتا بمنقار[39]

وهـذا التشـبيه صـورة طبـق الأصـل مـن قولـه: كأن مثـار النقـع فـوق رؤوسـنا واسـيافنا ليـل تهـاوى كواكبـه، ويقـول بشّـار بـن بُـرْد:

أَتَتْنِي الشَّمْسُ زَائِرَةً وَلَمْ تَكُ تَبْرَحُ الْفَلَكا[40]

وهـذه إسـتعارة جـاء بالشـطر الثـاني ترشـيحاً لهـا، إذ اسـتعار لفـظ الشَّـمْسِ لزائرتِـه مـن النسـاء، فهـي اسـتعارة تصريحيّـة مرشـحة، وأحـوج مـا يكـون الأديـب الشـاعر إلى بـصره عندمـا يسـتخدم الإسـتعارات، ويسترسـل بشـار في الشـعر وبقـول:

خَـاطَ لِي «زَيْـدٌ» قَبَـاءْ لَيْـتَ عَيْنَيْـهِ سَـوَاءْ
قُـلْ لمـن يَعْـرِفُ هَـذَا أَمَدِيـحٌ أَمْ هِجَـاءْ[41]

وللبيتـين مناسـة وهـي قصـده إيـراد كلام يَصْلُـح للمـدح وللهجـاء معـاً، أو الإيمـان والكفـر، أو الإقـرار والإنـكار، أو غـير ذلـك مـن المعـاني المتضـادّة، ليتـأتَّى لـه ادّعـاء إرادة أحـد المعنيَـيْن دون الآخـر عنـد الحاجـة، وذكـر البلاغيّـون أنّ السّـابق إلى اسـتخدام هـذا الفـنّ في الأدب هـو بشّـارُ بـن بُـرْد، وأنّـه كان كثـير العبـث بـه، ومـن أخبـاره فيـه أنّـه أراد أن يخيـط قبـاءً عنـد خيّـاط قيـل: اسـمه «عَمْـرو» فقـال لـه الخيّـاط ممازحـاً سـأخيط لـك هـذا الثـوب فـلا تـدري أهـو جُبَّـة أَمْ قبـاء، فقـال لـه بشـار: إذاً أنظـم فيـك شـعراً لا يعلـم مـن سـمعه أدعـوت بـه لـك أم دعـوتُ بـه عليـك، وكان الخيّـاط أعْـوَر، فلـمّا فعـل الخيـاط مـا وَعَـد بـه، فقـال بشـار البيتـين[42]. وفي البيـت الأول يتمنـي بشـار لصاحبـه أن يكـون مبـصرا بعينيـه الإثنتـين أو أعمـى مثلـه، ومـن هنـا نجـد بشـارا مختصـا ومهتـما بأمـر الإبصـار لـدي الآخريـن، قـال صاحـب العمـدة بشـار بـن بـرد، تنشـد شـعره فتجـده أقـصره عروضـاً وألينـه كلامـاً، فتجـد لـه في نفسـك هـزة وجلبـة مـن قـوة الطبـع؛ وقـد أشـبهه تصرفـاً وضربـاً في الشـعر وكـثرة عـروض مدحـاً وهجـاء وافتخـاراً وتطويـلاً[43].

بعـد اسـتعراض وقـراءة شـعر بشـار وتحليلـه تبـين لنـا أن الشـاعر صاحـب ملكـة شـعرية قويـة اسـتطاع مـن خلالهـا أن يرتقـي بنفسـه إلي مصـاف المبصريـن مـن الشـعراء متجـاوزا محنـة العمـى التـي وُلِـد بهـا، ولقـد ضمَّـن شـعره مـن التشـبيهات والإسـتعارات والتصاويـر البلاغيـة مـا لا يحـصى، فهـو في كل ذلـك يعـرض المعنـي عـلي السـامع أو القـارئ وكأنـه ينظـر إليـه رأي العيـان.

الخاتمة:

في خلاصـة هـذا البحـث نجـد إن تـذوق الأدب بأشـكاله الفنيـة ولوحاتـه التصويريـة والتشـكيلية ومعانيـه وإيحاءاتـه الشـعورية نجدهـا قـد تجـاوزت الحـدود التقليديـة للحـواس البشريـة، وتعـدت إلى مشـاعر غـير مرئيـة تقـوم مقـام الإبصـار لـدى العميـان، لقـد ثبـت ثـراء الأدب العـربي بمثـل هـذه القيـم الأدبيـة في ظـل غيـاب الإبصـار لـدي كثـير مـن الشـعراء، مـما أثبـت ذوقـا فريـدا عـلى غـير المألـوف وأضـاف فنـا تعـدى إلى آفـاق البيـان بفنونـه وتصاويـره التشـبيهية فخاطبـت الوجـدان وتكلـم إلى الضمـير.

لقـد حافـظ أدب العميـان عـلى أصالتـة ومذهبيتـه الأدبيـة ومضمونـه المعنـوي وأفـكاره، وأغراضه،

وخياله وتجديده في تشخيص التصوير الأدبي، مما بعث الحياة وحرك المعاني في الموجودات من الجمادات وحولها إلى صور أدبية حية متحركة تنبض بالحيوية، وتشع بالألوان والأضواء وترتسم فيها ظلال التصوير العمبق الغني بالخيال المتناسب مع طبيعة الغرض، المتلائم مع ذوق القارئ والمستمع، والمستوعب لتوجيهات النقد البناء.

لقد كان بشار بن برد شاعرا توفرت فيه فنون الشعر وهو لم ير النور قط في حياته إذ أنه ولد أعمى، فمن خلال الوقوف على أشعاره تبينت الصور الفنية التي تبرهن على مقدرته الأدبية في التصوير الأدبي وتثبت ملكته الشعرية وتفوقه على شعراء زمانه في تشبيهاته البيانية.

لقد أظهر البحث الصور البيانية الناطقة التي تميز بها أدب بشار فأخرجها للسامعين من خلف مدارك الناظرين، ليزاحم بها خيال المبصرين ويحلق حول الكون المنظور مصطحبا صور الإبداع دون أن يصطدم بأذواق المتأملين من هواة السابحين في مظاهر الجمال، والمحدقين بأعينهم إلي مكامن الذوق بسهام الأنظار من الأعين الصادقة.

إن الإبداع الفني في شعر العميان من عيون الأدب العربي الصادر من أدباء غابت عنهم حواس العيون التقليدية غير أنهم مبصرون بعيون قلوبهم الفطرية، فهذا البحث يؤصل لذلك الإبداع المتفرد، ويهدف لصون ذلك التراث الأدبي، والمحافظة عليه بعد أن وصل إلينا من وراء القرون، خاصة وأن الأدب العربي يمر بمنحنى خطير من عالم الأندثار في وقت تلاشت فيه ملكة الشعر بين المبصرين فضلا عن العميان، ولذلك تملي الضرورة أن نصون تلك اللوحات الأدبية النادرة ونحافظ عليها ففيها العزاء عن ذلك السلوان.

النتائج:

من أهم النتائج التي خصلت إليها الدراسة :

إن تذوق الأدب بصوره الفنية ليس محصورا علي أصحاب الحواس الذوقية الكاملة، بل تعداه إلى العميان الذين يبصرون بعيون قلوبهم الفطرية.

إن الأدب العربي غني بالقيم الأدبية بصورها المتكاملة لدي كثير من الشعراء العميان، مما أثبت ذوقا فريدا على غير المألوف.

حافظ العميان على أصالة شعرهم من حيث المضمون والمعاني والأفكار، والمغازي والأغراض، والخيال والصور وتجديدها.

أثبت الشاعر بشار بن برد ملكته الفنية وقدرته الأدبية في التصوير الأدبي وتفوقه علي شعراء زمانه.في إظهار الصور البيانية من التشبيهات والإستعارات.

قدرة الخالق جل وعلا في توفيق من أراد من عباده وجبر نقصهم بما شاء من فضله وإحسانه.

التوصيات:

الإهتـمام بالـتراث الشـعري عـبر عصـوره المختلفـة عامـة، والإلتفـات إلى شـعر العميـان بصفـة خاصـة.

أخذ العبر من إلهام الله تعالي لذوي الحاجات وإعانتهم واللطف بهم.

المحافظـة عـلى الحكـم والعـبر والمثـل القيمـة المتناثـرة في أشـعار العـرب وتهذيـب مـا يمكـن تهذيبـه مـن المعـان.

الهوامش:

(1) اللطائف والظرائف، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، ص 282

(2) البغال، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، الناشر دار ومكتبة الهلال، بيروت

(3) الطبعة: الثانية، 1418 هـ ص411

(4) تحسين القبيح وتقبيح الحسن، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، المحقق، نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان

(5) الطبعة: لا يوجد، ص 29

(6) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، دار المعارف، القاهرة، ص 692

(7) المرجع السابق نفس الصفحة

(8) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ ج2 ص315

(9) المرجع السابق نفس الصفحة

(10) سورة الحج 46

(11) التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، 1417 هـ ج3 ص290

(12) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، مرجع سابق، ج2، ص316

(13) غرر الخصائص الواضحة، أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ص244

(14) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423 هـ ج4ص22

(15) نصرة الثائر على المثل السائر، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ص 44

(16) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه، المكتبة العنصرية، بيروت، الطبعة الأولى، 1423 هـ ج2 ص71

(17) المرجع السابق

(18) البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر 1423 هـ ج1 ص63

(19) الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1424 هـ ج7 ص442

(20) تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002 م، ج7ص112

(21) البرصان والعرجان والعميان والحولان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1410 ه، ص 291

(22) البيان والتبيين، مرجع سابق، 1/ 192

(23) المرجع السابق ج3ص168

(24) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريرى النهرواني، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب لعلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى 1426 هـ - 2005 م، ص 138.

(25) أمالي الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، 1407 هـ - 1987م، ص 35

(26) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 ه، ج5 ص229

(27) البرصان والعرجان، مرجع سابق، ص 48

(28) تزيين الأسواق في أخبار العشاق، داود بن عمر الأنطاكي، المعروف بالأكمه، ص 201

(29) الزهرة، أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي الظاهري، ص 135

(30) الحماسة المغربية، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م، ج1 ص649

(31) الأوراق قسم أخبار الشعراء، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي، شركة أمل، القاهرة، 1425هـ ج1 ص74

(32) المرجع السابق ج2ص986

(33) المرجع ج2ص1089

(34) العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1404 ه، ج6ص 260

(35) التمثيل والمحاضرة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، 1401 هـ - 1981 م، ص 240

(36) المنتحل، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق الشيخ أحمد أبو علي، المطبعة التجارية، عرزوزي وجاويش، الإسكندرية، الطبعة 1319 هـ - 1901 م، ص 248

(37) زهر الآداب وثمر الألباب، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني، دار الجيل، بيروت، ج1 ص194

(38) سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأول 1980م، ص 28

(39) الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن، صدر الدين، أبو الحسن البصري، تحقيق مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ج2 ص210

(40) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، 1401 هـ - 1981م، ج1ص 158

(41) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، 1423ه، ج4 ص124

(42) البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1416 ه، 1996م، ج2 ص254

(43) البلاغة العربية، مرجع سابق، ج2 ص399

(44) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، مرجع سابق، ج1 ص131